

روح المعاني

ثبوت ذلك لقام أيحكم زيد في الناس ولما كان الوهم قد يتلاعب ببعض الخواطر فتنسب إلى إبراهيم وحاشاه شكاً من هذه الآية قطع النبي صلى الله عليه وسلم دابر هذا الوهم بقوله على سبيل التواضع : نحن أحق بالشك من إبراهيم أي نحن لم نشك فلأن لا يشك إبراهيم أخرى وقيل : إن الكلام مع أفعل جاء هنا لنفي المعنى عن الحبيب والخليل عليهما الصلاة والسلام أي لا شك عندنا جميعاً ومن هذا الباب أهم خير أم قوم تبع أي لا خير في الفريقين وإنما جاء التقرير بعد لأن تلك الصيغة وإن كانت تستعمل ظاهراً في السؤال عن الكيفية كما علمت إلا أنها قد تستعمل أيضاً في الاستعجاز كما إذا ادعى مدع أنه يحمل ثقلاً من الأثقال وأنت جازم بعجزه عن حمله فتقول له : أرني كيف تحمل هذا وتريد أنك عاجز عن حمله فأراد سبحانه لما علم براءة الخليل عن الحوم حول حمى هذا المعنى أن ينطقه في الجواب بما يدفع عنه ذلك الاحتمال اللفظي في العبارة الأولى ليكون إيمانه مخلصاً بعبارة تنص عليه يفهمها كل من يسمعها فهما لا يتخالجه فيه شك ومعنى الطمأنينة حينئذ سكون القلب عن الجولان في كيفيات الأحياء المحتملة بظهور التصوير المشاهد وعدم حصول هذا الطمأنينة قبل لا ينافي حصول الإيمان بالقدرة على الأحياء على أكمل الوجوه ولا أرى رؤية الكيفية زادت في إيمانه المطلوب منه عليه السلام شيئاً وإنما أفادت أمر ألا يجب الإيمان به ومن هنا تعلم أن علياً كرم الله تعالى وجهه لم يثبت لنفسه مرتبة في الإيمان أعلى من مرتبة الخليل فيه بقوله : لو كشفت لي الغطاء ما ازددت يقيناً كماطنه جهلة الشيعة وكثير من أصحابنا لما لم يقف على ما حررنا تجشم لدفع ما عسى أن يتوهم من كلامي الخليل والامير من أفضلية الثاني على الأول فبعض دفعه بأن اليقين يتصور أن يطرأ عليه الجحود لقوله تعالى ك وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم والطمأنينة لا يتصور طرو ذلك عليها ونسب هذا لحجة الاسلام الغزالي وفي القلب منه شيء وبعض قرر في دفعة أن مقام النبوة مغاير لمقام الصديقية فلمقام النبوة طمأنينة وعدم طمأنينة بحسبه ولمقام الصديقية طمأنينة وعدم طمأنينة بحسبه أيضاً وطمأنينة مقام النبوة كانت لخاتم النبيين صلى الله عليه وسلم كما كشف عنها بقوله تعالى : ألم تر إلى ربك كيف مد الظل على ما يعرفه أهل الذوق من الآية وكان الاستعداد من إبراهيم وكذا من موسى عليهما السلام متوجهاً إلى ابتغاء تلك الطمأنينة كما أبانا عن أنفسهما برب أرني كيف تحي الموتى ورب أرني أنظر إليك وطمأنينة مقام الصديقية كانت للصديقين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم كما أبدى عن نفسه إمام الصديقين كرم الله تعالى وجهه بقوله : لو كشف الخ وكان الاستعداد في صديقي سائر الأنبياء متوجهاً إلى ابتغاء تلك الطمأنينة فثبتت الفضيلة

لمحمد صلى الله عليه وسلم على سائر إخوانه من الانبياء والصديقية على سائر الصديقين من أممهم ولم يثبت لصديقيه لوجدانهم طمانينتهم الفضيلة على الانبياء عند فقدانهم طمانينتهم لأن ما فقدوه من الطمانينة غير ما وجبه الصديقون منها لأنهم إنما يفقدون الطمانينة اللائقة بمقام النبوة والصديقون لم يجدوا مثل تلك الطمانينة وإنما وجدوا طمانينة لائقة بمقام الصديقين ولو رضي النبيون بمثله لكان حاصلًا لهم وأجل من ذلك بعدة مراتب ولقد اعترف الصديق الأكبر صلى الله عليه وسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : إني لأسهو فقال : ياليتني كنت سهو محمد صلى الله عليه وسلم إذ علم أن ما بعده رسول الله صلى الله عليه وسلم من نفسه الكريمة سهواً فوق أعلى يقظان الصديق إذ حسنت الأبرار سيئات المقربين وحسنت المقربين سيئات النبيين وهذا أولى مما سبق وبعض من المتصوفة كجهلة الشيعة التزموا ظاهر كل من الكلامين وزعموا أن أولياء هذه الأمة وصديقيهم أعلى كعباً من الانبياء ولو نالوا مقام الصديقية